نحو هايكو عربي:

مقدمة ديواني "لعنات طبيعتك البائسة"

تناولتُ في مقدمة الكتاب السابق في هذه السلسلة بعض هكائد (قصائد الهايكو سابقا) محمود الرجبي وعرضتُ فيها رؤيتي لهذا النوع من القصائد من خلال تحليل بعض قصائد الرجبي والتنظير لفن كتابة الهكيدة كي أساهم بجزء ولو صغير في تخليص الهكيدة من الكثير من اللبس والاستسهال اللذين يحيطان بها وبكتابتها. وتلك المقدمة ضرورية جدا للمقدمة الحالية لأن المقدمة الحالية تنبني عليها وتكملها في آن.

هَكَدَ يَهْكِدُ هَكْدًا فهو هاكِدٌ وهي هاكدة، واسم المرة للنوع المكتوب هَكِيدَة وجمعها هكائد، والاسم الجامع هو الهكيدُ، ومن الملاحظ أن هكيدة على وزن قصيدة وهكائد على وزن قصائد وهاكد على وزن شاعر وهاكدة على وزن شاعرة وهكيد على وزن قصيد. باختصار، تجمع الهكيدةُ بين

القصيدة العربية والهايكو في الثقافة اليابانية والثقافات الأخرى.

في المعاجم العربية – لسان العرب وتاج العروس والمعجم الوسيط والقاموس المحيط – هكَّدَ الرجل على غريمه شدَّدَ عليه. وربما كان المعنى المقصود بالهكد في الهكيدة معنى يجمع بين الهدِّ والكدِّ والهكِّ والقصدِ: الهدم والتعب والمكابدة واقتراب الولادة وقصدية النوع والبناء من جديد على أسس صحيحة تستوعب روح النوع الأدبي الوافد وتمد بجذوره في اللغة العربية والشعر العربي والثقافة العربية التراثية والمعاصِرة على حد السواء.

غادرتُ الهكيدة العربية محطة الطبيعة السطحية ومحطة استغراق الشعراء الهاكدين في وصف الطبيعة والتلاعب بالألفاظ والتوقف عند ظاهر الحرف وظاهر عناصر الطبيعة دون أن يتماس ذلك مع روح الإنسان ومع روح الكائنات الأخرى ومع روح الجماد بما فيه من شاشة كمبيوتر وفضاء إلكتروني افتراضي وتواصل بين العوامل

المختلفة والمتقاطعة والمتنافرة والمتجانسة وما إلى ذلك من علاقات سواءً أكانت واقعة أم محتملة أو قد تبرز في المستقبل من مستجدات الحياة.

سأتناول هنا رؤيتي للهكيدة من منظور آخر، من خلال إلقاء نظرات نقدية على بعض هكائدي التي تتناول فن الهكيد ذاته. ففي قصيدة "هكيد" على سبيل المثال:

أتظنُّ أن خُضرتَكَ حيَّةٌ؟

كيفَ تسجنُها في سطحِكَ الخاوي

وتنتظرُ منها الهكيدَ؟!

الخضرةُ هي الطبيعة التي يصفها معظم شعراء "الهايكو" بفجاجة من خلال تقديم عنصر ما من عناصرها بطريقة غرائبية أو تغريبية على غرار مدرسة الشكلية الروسية، ثم يذكرون اسم هذا العنصر في السطر الأخير. ويأتي السؤال هنا بمثابة استجواب للكاتب الذي ينقل هذا العنصر وكأنه حياة دون أن يتلمَّس الأثر الفني له أو يربطه

obeikandl.com

بحياة الكائنات البشرية وغير البشرية. والهكيد هنا ليس حاضرا بذاته في عنصر الطبيعة، فهو في حاجة إلى عين تبصر فيه شيئا آخر أو تتعمق في روحه وتقرنه بروح أخرى.

الهاكد يسعى للإنصات إلى "النداء البعيد" الماثل في عنوان هكيدة أخرى لي، ولكن بصيغة النكرة للدلالة على تعدد هذا النداء حسب رؤية كل هاكد:

ابرحْ عينيكَ

والصورَ التي تنسخها بالكربونِ

فالهكيدةُ على البُعدِ تناديكَ.

أن يبرح عينيه هنا يعني أن يقوم بمعالجة الصورة التي يراها أمامه – حقيقة أم خيالا – وتقتضي هذه المعالجة تفاعلا بين ذات الشاعر وهذه الحقيقة أو هذا الخيال.

وهذا التفاعل ينتج عنه امتزاج أو تلاقٍ أو تواصل أو تجاور أو تحاور، انطلاق من الموضوع إلى الذات وتحويل

الموضوع إلى ذات، أي إبصار ذاته الكامنة فيه التي تتحاور مع ذات المبدع أو أية ذات افتراضية أخرى يتقمصها الصوت في الهكيدة وينقل لنا نتيجة هذا الإبصار.

وهذا الإبصار ينم عن صفاء رؤية وعن إخلاص لروح الهكيد التي تتقاسمها الثقافات، وكل ثقافة تعبر عنها بالطريقة التي تناسبها وتناسب أدبها. ولهذا أشرتُ في هكيدتي "مصالحة جديدة" إلى "الدروب الجديدة" التي ينبغي على الهاكد العربي أن يشقها من خلال قلمه أو لوحة مفاتيحه أو نبرات صوته على جهاز التسجيل بهاتفه، وأن يتصالح مع الأرض العربية التي تحتاج إلى هكائد تنبت فيها ولا تكون نشازا أو تنافرا:

امتناني لقلمي المُتْعَبِ

هكائدُ تَّصالحُ الأرضَ

وتشقُّ دُروبًا جديدة.

وفي هذه الهكيدة توجد ثلاث صور متداخلة وليس حتى مجرد صورتين: تبدأ الهكيدة بوجه عام في معظم الأحوال بصورة ما تعبر عن حالة ما – وكلمة الصورة هنا ليست بالضرورة صورة مادية ملموسة من الطبيعة أو غيرها، فقد تكون صورة مجردة أو معنوية أو حالة إنسانية أو شعورا أو إحساسا أو فكرة أو خليطا بين هذا وذاك.

والصورة الماثلة في هكيدتي "مصالحة جديدة" عبارة عن إحساس الصوت بالامتنان لقلمه، وقلمه هذا قلم وصلَ إلى مرحلة التعب، والتعب رحلة طويلة في الكتابة عايش فيها القلم تجارب متنوعة، أي أن هذا التعب عبارة عن اللحظات الزمنية والخبرات الكتابية التي مر بها القلم وصاحبه، وهذا المشوار الطويل يولّد لدى الصوت الشعور بالامتنان نحو هذا القلم الذي رافق الكاتب وصبر على تجاربه وشاركه هذه التجارب.

هذه هي الصورة الأولى، ولا يمكن أن تتوقف الهكيدة عند الصورة الأولى، فلابد أن يقرأ الكاتب في هذه الصورة

openkandil.com

صورةً أخرى أو صورًا أخرى، وهنا يأتي دورُ السطرين التاليين في الهكيدة: فيرى الصوت أن هذا الامتنان لابد أن يتم التعبير عنه عمليا بشيء يتناسب مع القلم ودلالته ورحلته الطويلة في عالم الكتابة، ويتخذ هذا التعبير شكل "هكائد تصالحُ الأرض" و"هكائد تشقُّ دروبًا جديدة".

والمصالحة هنا تنم عن خصام سابق بين الهاكد والأرض، وكيف يكون هذا الخصام ومعظم قصائد الهايكو المكتوبة في العربية عبارة عن وصف لعنصر من عناصر الطبيعة التي تمثل جزءا أساسيا من الأرض والحياة عليها؟

إذن، الخصام ليس ذلك الخصام الظاهر الذي قد يتبدى للعين مباشرة، فهو خصام يتعلق بروح الأرض وليس سطحها أو ظاهرها، مع ما ترمز له الأرض أيضا من حياة الإنسان وتجاربه الثرية المتنوعة المتشابكة المعقدة المنفتحة على كل الاتجاهات والمجالات، ومع ما ترمز له الأرض من خصوصية جغرافية تتجلى بدورها في خصوصية الأنواع

الأدبية التي يكتبها من يسكنون في هذا الجزء أو ذاك من الأرض.

واسم السلسلة المنشورة فيها هذه الهكائد هو "هكائد عربية"، إذن الأرض عربية، والهكائد لابد أن تكون عربية، ولا أقصد بالعربية مجرد الكتابة بحروف عربية، وإنما العربية بمعناها الأدبي والثقافي والجغرافي والتاريخي والإنساني والحياتي، الخ. وهنا لابد للهكائد أن تتلمس نبض الأرض العربية ونبض الإنسان العربي بعد أن أخذت من اسم النوع الأدبي الوافد – الهايكو – الحرفين الساكنين فيه وضفّرتْهما بـ "القصيدة" في اللغة العربية والثقافة العربية.

وهنا يأتي دور السطر الثالث في هكيدة "مصالحة جديدة"، فلا يمكن للهاكد العربي أن يتوقف عند روح قصيدة الهايكو المستخلصة من أرواح قصائد الهايكو اليابانية وغير اليابانية مما هو مكتوب بلغة غير اللغة العربية، فلابد لهذا الهاكد العربي أن يشقَّ دربه الخاص، وأستعمل كلمة "دروب" بصيغة الجمع هنا، لفتح المجال أمام التجريب في

كل المجالات وفتح الهكيدة على كل المجالات دون التوقف عند الطبيعة.

فالطبيعة افتراضية كما أسميتُها في عنوان هكيدتي "طبيعة افتراضية":

الهكائدُ التي ترتسمُ برأسي الآن

تعانقُ طبيعةً افتراضيةً

وتلتحمُ بنبضِ إنسانٍ.

والافتراض هنا لا يعني عدم الوجود، فالعالم الافتراضي بالنسبة لنا على سبيل المثال عالم حقيقي، وربما كان أكثر واقعية أو حضورا أو وجودا من عالمنا الحقيقي، ويقوم على التقاطع أيضا، بأن يشير هذا العنصر أو ذاك الرابط إلى عناصر أخرى وروابط أخرى، لتجد الشيء حاضرا في غيره، وتجد الغائب حاضرا والحاضر قد يغيب عندما يحضر هذا الغائب، وقد تجدهما معا، وقد تتواصل مع شخصين في نفس الوقت، وقد تصلك رسالة من شخص

غائب أو مجهول فيحضر في وحدتك أو غربتك، وما إلى ذلك.

والافتراض يتضمن الوجود، فعندما افترض شيئا، يعني ذلك أن هذا الشيء موجود بالنسبة لي حتى لو كان وهمًا بالنسبة لآخرين، وحتى لو لم أستطع أن أرى هذا الشيء بعين الحقيقة أو عين الخيال.

والطبيعة تعني الطبع والخُلق وسمات الإنسان وغيره، وتعني العفوية والتلقائية والانسياب وعدم التكلُّف وعدم التصنُّع...

والطبيعة تعني الأصل والسمات الراسخة في الإنسان وغيره، أي روح الشيء أيضا، فلكل شيء طبيعته التي تمثل روحه أو سماته الأساسية التي لا تتبدل بتبدل الظواهر.

باختصار، لكل شيء ولكل كائن طبيعته التي تمثل روحه وخصائصه الأساسية، ولابد للهاكد أن يَدْفُقَ في هكيدته نبض هذه الطبيعة، سواء أكانت تتعلَّق بالإنسان أم

بغيره من الكائنات والأشياء والموجودات، وسواء أكان هذا الوجود وجودًا ملموسًا أم وجودا مجرَّدًا ومعنويا.

ولا يعني ذلك انغلاق الهكيدة العربية، وإنما يعني التأكيد على خصوصية اللغة العربية وثقافاتها وآدابها وجمالياتها بعيدا عن الزخرفة القولية والحشو اللفظي والوصف الذي تغيب عنه حكمة التصميم الكلي للهيكدة وحكمة المعمار الفني.

وتقوم الهكيدة على تقاطع الصور أو الحالات أو أنواع الوجود أو الانفعالات أو الرؤى أو... وهذا التقاطع أقرب للامتزاج، ولا يُشترط أن يكون هذا الامتزاج كلِّيًّا، فهو امتزاج يدل على التقاء أرواح هذه الصور أو الحالات أو... يقول الصوتُ في هكيدتي "امتزاج":

الهايكو الذي ينبتُ في الأرضِ

صورٌ متقاطعةٌ

وامتزاجٌ بلغة الماءِ.

فالصور المتقاطعة لابد أن تمتزج، وأن يكون امتزاجهما على طبيعته عفويا ومنسابا، وأن يجسّد لغة الماء الجاري الذي خُلق منه كل شيء حي، بعيدا عن اللغة الحجرية أو الافتعال أو الألفاظ القديمة.

ويمكنني أن أشبه الأمر بما يسمى في لغة السينما بالتلاشي، أي أن تبدأ لقطة عايشها المشاهد في التلاشي لتحل محلها لقطة أخرى، وتظهر قدرة الهاكد في الجمع بين لقطتين يوجد رابط مباشر أو غير مباشر بينهما، ولكن بعيدا عن اللغة الباطنية المليئة بالألغاز أو الصور المفتعلة أو الرموز العسيرة على التلقي؛ هي لغة ماء، والماء منساب وحيٌّ ومنطلق ومتدفق وعفوي ويتشكَّل بشكل الإناء أو الوعاء أو المجرى الذي يوجد فيه.

هناك هكائدُ كثيرة لي تناولتُ فيها مفهوم الهكيدة بلغة الهكيدة ذاتها في هذا الديوان وفي ثلاثة دواوين أخرى لي ستنشر تباعا، وكان من الممكن أن تكون هذه المقدمة لأي ديوان منهم، لكنني راعيتُ مسألة الحجم: فهذا الديوان يشتمل

على 80 هكيدة فقط، في حين أن كل ديوان من الدواوين الأخرى يحتوي على 100 هكيدة عربية: يحتوي كل من ديوانيّ "نبضي يتجلى في الجاذبية" و"مواسم وجوهي ساعة الصفر" على 100 هكيدة مكتوبة بضمير المتكلم، ويحتوي ديواني "هكيدةٌ غادرتِ المحطة" على 100 هكيدة بضمير المخاطب، ومعظم هكائد الديوان الحالي مكتوبة بضمير الغائب.

وأقترح أن نسمي كل الأنواع الوافدة – الهايكو، السنريو، هايكو الخيال العلمي، الخ – باسم هكيدة في اللغة العربية بحيث تكون منفتحة على كل أنواع التجارب وعلى التجريب في الموضوعات والشكل في إطار الثلاثة أسطر وإطار التقاطع والامتزاج.

ويسعد دار حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني أن تقدم هذا الديوان وديوان الأستاذ محمود الرجبي ودواويني الأخرى للقارئ العربي في بداية هذه السلسلة، سائلين الله أن

تكون هذه السلسلة فاتحة خير للشعر العربي والأدب العربي والثقافة العربية.

obeikandl.com